ووقفه حتى يتبين اي الامرين اولى به فمن سلك هذه الطريقة استقام
له سفر الهجرة واستقام له علمه وعمله واقبلت وجوه الحق اليه من كل جهة
ومن العجائب يدعي حصول هذه الأولوية والمحبة التامة من كل سعيه ولجتهاده
ونصبه في الاشتغال باقوال غيره وتقريرها والغضب والحمية لها والرضى بها
والتحاكم اليها وعرض ما قاله الرسول عليها فان وافقها قبله وان خالفها
التمس وجوه الحيل وبالغ في ردّه ليا واعراضا كما قال تعالى وان تلووا او
تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا وهل اشتملت هذه الآية على اسرار الكريمة
عظيمة نحن ننبّه على بعضها لشدة الحاجة اليها قال الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا
او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا فامر سبحانه بالقسط وهو العدل
وهذا امر بالقيام به في حق كل احد عدوا كان او وليا واحق ما قام له العبد بالقسط
في الاقوال والآراء والمذاهب اذ هي متعلقة بامر الله وخبره فالقيام فيها بالهوى و
العصبية مضاد لامر الله مناف لما بعث به رسله والقيام فيها بالقسط
وخليفة خلفاء الرسول في امته وامنائه بين اتباعه ولا يستحق اسم الامانة
الا من قام فيها بالعدل المحض نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولعباده اولئك
هم الوارثون حقا الذين جعلوا اصحابه ونحلته ومذهبه معيارا على الحق وميزانا له
يعادي به من خالفه ويوالي من وافقه لمجرد موافقته ومخالفته فاين هذا من القيام
بالقسط الذي هو فرض الله على كل احد وهو في هذا الباب اعظم فرض واكبر واجب
ثم قال شهداء لله والشاهد هو المخبر فان اخبر بحق فهو شاهد عدل مقبول و
ان اخبر بباطل فهو شاهد زور وامر تعالى ان يكون شهداء له مع القيام
بالقسط

بالقسط وهذا يتضمن ان تكون الشهادة بالقسط ايضا وان تكون لله لا لغيره
وقال في الآية الاخرى كونوا قوامين لله شهداء بالقسط والثاني ان تكون لله
والثالث الشهادة بالقسط والرابع ان تكون لله واختصت آية النساء
بالقيام بالقسط والشهادة لله وآية المائدة بالقيام لله والشهادة بالقسط
لسر عجيب من اسرار القرآن ليس هذا موضع ذكره ثم قال تعالى ولو على انفسكم
او الوالدين والاقربين فامر سبحانه بان يقام بالقسط ويشهد به على كل احد
ولو كان احب الناس الى العبد فيقوم به على نفسه ووالديه الذين هما
اصله واقربيه الذين هم اخص به والصق من سائر الناس فان ما في العبد
من محبته لنفسه ولوالديه واقربيه يمنعه من القيام عليهم بالحق ولا
سيما اذا كان لمن يبغضه ويعاديه قبلهم فانه لا يقوم به في هذه الحال
الا من كان الله ورسوله احب اليه من كل ما سواهما وهذا يستحن به
العبد ايمانه فيعرف منزلة الايمان من قلبه ومحله منه وعكس هذا عدل العبد
في اعدائه ومن يجفوه وانه لا ينبغي له ان يحمله بغضه لهم على ان يحيف عليهم
كما لا ينبغي ان يحمله حبه لنفسه ووالديه واقاربه على ان يترك القيام عليهم
بالقسط فلا يدخله ذلك البغض في باطل ولا يقصر به هذا الحب عن الحق كما
قال بعض السلف العادل هو الذي اذا غضب لم يدخله غضبه في باطل واذا
رضي لم يخرجه رضاه عن الحق فاشتملت الآيتان على هاتين الكلمتين وهو
القيام بالقسط والشهادة به على الاولياء والاعداء ثم قال تعالى ان يكن غنيا او
فقيرا فالله اولى بهما منكم هو ربهما ومولاهما وهما عبيده كما انكم عبيده
فلا تحابوا غنيا لغناه ولا تطمعوا في فقير لفقره فان الله اولى بهما منكم
وقد يقال فيه معنى آخر احسن من هذا وهو انكم ربما خفتم من القيام

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)